بدأت تلوح بوادر التشفي والرعب . الاتصالات الهاتفية بين الاصدقاء أصبحت أقصر وأقل . في الشوارع بدأ فتيان صغار من الميليشيا بالظهور . انهم يستخدمون الاطفال لانهم أرشق ولانهم يستطيعون التسلل تحت الدخان لالتقاط الاسلحة التي يخلفها العدو ، وهكذا يتعلمون حب الوطن ، وكيف يجب أن يموتوا .

المستشفيات مكتظة . كلما مرت ساعة هدوء نغامر بزيارة أحد الجرحى في المستشفى . المشوهون والمبتورة أعضاؤهم كثيرون جدا . الحالات اليائسة تنتظر في الممرات .

عيناي نبتتان تتفتحان نهارا وتغلقان ليلا . صرت اتمنى ان يخترق صاروخان دماغي لاموت سالمة ، فتلك هي المشكلة . كل شيء يصبح بدائيا . الخلايا تتذكر خفقان الشمس في الايام الاولى حيث كانت نائمة في بداياتها ، وعلى مستوى طبيعة سابقة للانسان . كل ما تعلمناه يطفو . الاجسام هي أيضا تنفجر كالحقد ، كليمونة معصورة ومشققة .

الراديو يعلن عن تأليف حكومة جديدة تحت الضغط الشعبي . ما زالت الناس لا تجرؤ على المغامرة والنزول الى الشارع . خفت الانفجارات . فترات الصمت صعبة ، لان انتظار الجولة المقبلة أمر غير محتمل . الانفجارات نوع من التنفيس الضروري . من يعلم .

صباح هذا الاربعاء ، الناس تخرج الى الشوارع بتردد بعد ليل هادىء نسبيا . هناك رائحة عفونة دافئة تخنق . بيروت في ٢ تموز شمس محرقة في كل مكان . الضوء مزعج للذين بقوا في منازلهم . الزبالة أكوام يلعب فوقها اطفال هذه المدينة الخالية من الحدائق العامة والمنتزهات ، سواء أكانوا أطفالا اغنياء أم فقراء . كأن الزبالة حلت محل الناس في الشوارع . انها ملونة لزجة وذات حضور صاعق . الطقس حار مع شيء من الهواء . المحلات على الغالب مدمرة جزئيا او كليا . الزجاج المتناثر هو الشيء الوحيد الذي يبدو نظيفا في هذه العفونة ، ويلمع كالماء الساكن فوق اسفلت الطرقات .

في مقهى الاكسبرس بضعة أشخاص يتناقشون . يقول لي « أ.ن » ان العرب لا يعرفون للاسف الحقد على الاعداء . انهم لا يكرهون الا بعضهم . انهم ما زالوا في المستوى البدائي ، حيث الخصومات العائلية هي الاهم . وهم لا يهتمون الا بأنفسهم . هكذا يفسر وحشية هذه المذبحة الاهلية التي لم تصل الى مستوى الحرب .

اخترق المدينة شارعا شارعا . بيروت مدينة مخذولة . انها هي الخاسرة . انها تشبه كلبا وضع ذيله بين رجليه . كانت خالية البال حتى الجنون . لقد حشدت في أحشائها كل ما في العالم من أعراف وتقاليد ، ونقائص وثار ، وجشع ورذيلة . وها هي تتقيأ ، ويطفو تقيؤها على كل فضائها . لقد نكست الوقاحة رايتها في الاحياء المسيحية المتطهرة والمتوحشة . ملامح الوجوه قاسية . الشباب في ثيابهم الكاكية ، هؤلاء الذين يحملون البندقية ، هؤلاء الذين يتجولون في « جيب بلا لوحة » ، هؤلاء الذين يتقنعون بأقنعة الجلادين ، هؤلاء الذين يتباهون بفولكلور ثوري لا يعرفون تناقضاته ، هؤلاء الذين يبصقون على كل سيارة تعبر ، هؤلاء الذين يبيعون جريدة الكتائب .. كل هذا العالم يحمل ملامح انتصار مزيف .

الاحياء الاسلامية أكثر فوضوية وتلونا . القتامة فيها اكثر وابرز ، ولكن التحدي في العيون أقل ، والحزن القدري أكبر . ليس هنالك رعب ، ولكن هناك تغضن حول الافواه . آثار الحواجز أبرز . كل شيء مرتجل ، ثمة فتور يترك اثره على الحركات والاشكال والبيئة .